لغة العلم

في لغة البحث العلمي ، لا مكان لتصدير أحكام مثل ضال ، مضل ، فاسق..... وما شاكلها . والسبب بسيط ، فمن جهة ، لغة العلم حازمة ، ولديها هاجس كبير من استصدار أحكام قطعية ناجزة في ظل اعترافها بمحدودية المعلومات المتوافرة قياساً لغير المتوافرة ، ومن جهة أخرى تلقى العلم درساً قاسياً من الزمن بأن تجاربه قد تفضي إلى خلاف ما توصل إليه سابقاً - فشكل ذلك هاجساً آخر له .

خلاصة القول ، ليس المطلوب بين أهل الفتية في فرقنا الإسلامية إذا أرادوا أن تتأثر لغتهم بهواجس لغة العلم أن يصادق بعضهم على آراء البعض الآخر مهما تباينوا ، ولكن بالإمكان الارتقاء بلغة الاختلاف فيما بينهم إلى مستوى يتناسب مع حقيقة تواضع نفس البحث العلمي ، واجتهاد الإنسان مهما بلغ : فمثلاً لا حصراً : بدلاً من "هو على باطل" (لا نلتقي مع هذا الرأي) ، وبدلاً من " هو ضال مضل "
(استدلالاته غير وافية ، ونسأل الله لنا وله الهداية) . هذه العبارات لن تلغي الاختلاف ، ولكنها ستوجهه إلى الآراء والاستدلالات ، وستكون في منأى وتورع عن إشهار صكوك الضلال والإضلال .

ثمة هاجس آخر مهم لا يمكن أن نتغافل عنه في هذا الخضم ، وهو أن لغة التسقيط والتظليل والتفسيق متى ما أُطلِقت ، فلا ضامن بألا تتمدد آثارها إلى مديات أبعد ، فلا ضامن بألا تفضي إلى الاحتراب مكان السلم ، ولا إلى الفرقة محل الوحدة ، فتسير بنا حينها في عكس سير تعاليم الدين (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) ، (وادخلوا في السلم كافة) .

وللأسف ، حينها لا يجدي كثيراً أن نبرئ أنفسنا وأن نتباكى على الدين ، خاصة حينما يستثمر المتربصون به وصمه بأنه مصدراً للكراهية والفتنة والاحتراب ، فلغتنا المألوفة وما ترتب عليها من احتراب وكراهية تكون قد أسدت لهم خدمة ، في ذلك ، لم يتكبدوا عناء طلبها .

نعم قدرنا جميعاً هو الاختلاف ، وسنظل مختلفين شئنا أم أبينا ، ولكن علينا أن نقرر ، فإما أن يرتقي هذا الاختلاف بواقعنا ويحسن إلى ديننا ، أو أن يتهاوى بهما.